

# الكتابة والتأليف في العصرين الجاهلي والإسلامي

بقلم

الدكتورة السيدة راحيلة خالد قريشي<sup>١</sup>

إن الكتابة هي صناعة شريفة، وهي آلة الحضارة التي تسجل بها المواثيق والمعاهد، وبها تعالج قضايا الناس الاجتماعية، وأنها من الاختراعات الكبرى التي غيرت مجرى البشر، والتاريخ يبين لنا أن الإنسان فكر في هذه الصناعة منذ أيامه الأولى، فإنه قضى الزمن يأكل ويشرب، ويتكلم، ولكنه لا يستطيع أن يكتب، ولما اتسعت علاقاته ببناء جسده، وكثرت أسفاره للاستزاق، وازدادت حوانجه لتسجي أعماله، ومعاملاته، احتاج إلى الكتابة لتقييد ملاحظاته، ومواثيقه، وتدوين حوادثه ووقائعه، فعهد إلى الطرق البدائية لكتابتها، وأخترع الكتابة الصورية، واستخدام الصور لتعبير أفكاره فالدور الصوري الذاتي<sup>٢</sup> هو أول خطوة نحو الكتابة، وأبسطها أدواراً، ولكنه وجد هذه الطريقة عاجزة عن تعبير مشاعره، إذ أن هناك معانٍ لا صورة لها في الخارج كالحب، والبغض، واليوم والغد، فكل هذا اضطره

<sup>١</sup> - أستاذة مساعدة بقسم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية ببهاولبور الباكستانية.  
<sup>٢</sup> - جرجي زيدان، الفلسفة اللغوية، والألفاظ العربية، ص ١٦٠، مراجعة د. مراد كامل القاهرة ١٨٨٦م.

## الكتابة والتاليف في العصرين الجاهلي والإسلامي

إلى الرموز، وكانت هي خطوة ثانية إلى الكتابة يسمى بها علماء اللغة "الدور الصوري الرمزي"<sup>١</sup> رمز فيه الإنسان عن المحبة بالحمامة، وعن البعض بالحية، وعن اليوم برسم الشمس في أعلى دائرة، ثم أوجد الإنسان الكتابة المقطعة، وأخذ صورة الشيء للدلالة على أول مقطع من اسمه كاستخدام صورة العدو للدلالة على أول مقطع من "عدو" وهو العين، واستخدام رسم السفينة للدلالة على السين المفتوحة والشجرة على الشين المفتوحة<sup>٢</sup>، وكان إيجاد الكتابة المقطعة هو خطوة كبرى في اختراع الكتابة، وبدأ بعد ذلك الدور الهجائي، لما سعى الإنسان إلى الجذور الأساسية للكلمات والألفاظ حتى نجح في عمله هذا، وأصبحت بسعيه تلك المقاطع التي أوجدها حروفاً، فالأدوار التي مرت بها الكتابة قبل وصولها إلى نحو ما هي عليه الآن أربعة<sup>٣</sup>.

- ١- الدور الصوري الذاتي.
- ٢- الدور الصوري الرمزي.
- ٣- الدور المقطعي.
- ٤- الدور الهجائي.

فالكتابية مرت بمراحل وأطوار متعددة من الأعداد والتمهيد حتى ضبطت العلوم، ودونت الكتب، وتلك الكتب أصبحت المصادر اللغوية والأدبية فيما بعد. وأنها لم تظهر فجأة، ولا بد لها من وسائل التدوين من أهمها الكتابة اللغوية، ثم أدوات الكتابة<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup>- نفس المصدر ص ١٦١.

<sup>٢</sup>- المرجع السابق.

<sup>٣</sup>- المرجع السابق.

<sup>٤</sup>- المرجع السابق.

## الكتابة والتأليف في العصرين الجاهلي والإسلامي

أما العرب فهم الشعب الذي عرف الكتابة ومارسها بزمان طويل قبل الإسلام، ولم يكن العربي أمياً في العصر الجاهلي، والتاريخ يذكر لنا أن لهم كيان مستقل، وأنهم أنشأوا دولاً مستقلة في أرض العرب وتركوا أثراً كثيرة منها، وهذه الآثار تدل على عظم ذلك الكيان وحضارتهم الرائعة منها دولتهم في اليمن، وتدمير والحيرة، وفي وسط الجزيرة (دولة الكندة) فذكر أن شمر بن أقليش الحميري (وهو الذي سميت "سمرقند" باسمه) إذ كان غزاها بخمس مائة ألف فدهمها، فقالوا "شمر كند" أي شمر هدمها، ثم وصل إليها ملك تبع "الأقرن بن أبي مالك" فأمر بمعمارتها<sup>١</sup>، فمن الطبيعي أن تكون لهذه الدول مواثيقها وعهودها، وكانت هي ذات صلة وثيقة مع الدول الأخرى مثل الأحباش، والفرس والروم، ولكن المؤرخين من المستشرقين وأذنابهم عندما يكتبون عن الكتابة في العصر الجاهلي خاصة، يضعون العلل، والأسباب ليصوروها القارئ أن العرب تبع لغيرهم في وضع الخط والكتابة العربية، وما العربية إلا لهجة من اللهجات السامية، ويرجحون الرواية الشفوية في انتشار العشر الجاهلي فيقول الدكتور بلاشير وهو يقلل شأن التدوين في ذلك العصر<sup>٢</sup>.

"لا شك في أن بعض الرواية في بعض المراكز الحضرية قد دونوا الكتابة، وبعض القصائد الهامة، ولكن ذلك يعزوه الدليل حتى ولو سلمنا بصحة وقوع ذلك،

<sup>١</sup>- قيل وضع الله عز وجل القلم في المكان الرفيع، ونوه بذلك في المنصب الرفيع، حين قال «لن والقلم وما يسطرون»، فأقسم بالقلم بما يخط بالقلم، وقيل "القلم" أحد اللسانين وهو المخاطب للغائب، بسرائر القلوب على لغات مختلفة، وقال ابن المقفع "القلم بريد القلب، يخبر بالخير ينظر بلا نظر، وقال الجاحظ الدواة منهـل والقلم ماتـح، والكتاب عـطن، أحمد الهاشمي جواهر الأدب في الأدبـيات وإنشاء لـغـةـ العـربـ ٣٣٥/١ـ سنة ١٤٣٧ـ هـ، ١٩٥١ـ مـ.

<sup>٢</sup>- أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري المعرف ص ٦٢٩، سنة ١٩٨٧ مـ بيـروـتـ.

## الكتابة والتاليف في العصرين الجاهلي والإسلامي

إلى الرموز، وكانت هي خطوة ثانية إلى الكتابة يسمى بها علماء اللغة "الدور الصوري الرمزي"<sup>١</sup> رمز فيه الإنسان عن المحبة بالحمام، وعن البغض بالحية، وعن اليوم برسم الشمس في أعلى دائرة، ثم أوجد الإنسان الكتابة المقطعة، وأخذ صورة الشيء للدلالة على أول مقطع من اسمه كاستخدام صورة العدو للدلالة على أول مقطع من "عدو" وهو العين، واستخدام رسم السفينة للدلالة على السين المفتوحة والشجرة على الشين المفتوحة<sup>٢</sup>، وكان إيجاد الكتابة المقطعة هو خطوة كبيرة في اختراع الكتابة، وبدأ بعد ذلك الدور الهجائي، لما سعى الإنسان إلى الجذور الأساسية للكلمات والألفاظ حتى نجح في عمله هذا، وأصبحت بسعيه تلك المقاطع التي أوجدها حروفاً، فالأدوار التي مرت بها الكتابة قبل وصولها إلى نحو ما هي عليه الآن أربعة<sup>٣</sup>.

- ١ - الدور الصوري الذاتي.
- ٢ - الدور الصوري الرمزي.
- ٣ - الدور المقطعي.
- ٤ - الدور الهجائي.

فالكتابية مرت بمراحل وأطوار متعددة من الأعداد والتمهيد حتى ضبطت العلوم، ودونت الكتب، وتلك الكتب أصبحت المصادر اللغوية والأدبية فيما بعد. وأنها لم تظهر فجأة، ولا بد لها من وسائل التدوين من أهمها الكتابة اللغوية، ثم أدوات الكتابة<sup>٤</sup>.

---

<sup>١</sup> - نفس المصدر ص ١٦١.  
<sup>٢</sup> - المرجع السابق.  
<sup>٣</sup> - المرجع السابق.  
<sup>٤</sup> - المرجع السابق.

أما العرب فهم الشعب الذي عرف الكتابة ومارسها بزمان طويل قبل الإسلام، ولم يكن العربي أمياً في العصر الجاهلي، والتاريخ يذكر لنا أن لهم كيان مستقل، وأنهم أنشأوا دولاً مستقلة في أرض العرب وتركوا آثاراً كثيرة منها، وهذه الآثار تدل على عظم ذلك الكيان وحضارتهم الرائعة منها دولتهم في اليمن، وتدمير والحيرة، وفي وسط الجزيرة (دولة الكندة) فذكر أن شمر بن اقليش الحميري (وهو الذي سميت "سمرقند" باسمه) إذ كان غزاها بخمس مائة ألف فدهمها، فقالوا "شمر كند" أي شمر هدمها، ثم وصل إليها ملك تبع "الأقرن بن أبي مالك" فأمر بعمارتها<sup>١</sup>، فمن الطبيعي أن تكون لهذه الدول مواثيقها وعهودها، وكانت هي ذات صلة وثيقة مع الدول الأخرى مثل الأحباش، والفرس والروم، ولكن المؤرخين من المستشرقين وأذنابهم عندما يكتبون عن الكتابة في العصر الجاهلي خاصة، يضعون العلل، والأسباب ليصورووا القارئ أن العرب تبع لغيرهم في وضع الخط والكتابة العربية، وما العربية إلا لهجة من اللهجات السامية، ويرجحون الرواية الشفوية في انتشار العشر الجاهلي فيقول الدكتور بلاشير وهو يقلل شأن التدوين في ذلك العصر<sup>٢</sup>.

"لا شك في أن بعض الرواية في بعض المراكز الحضرية قد دونوا الكتابة، وبعض القصائد الهمامة، ولكن ذلك يعزز الدليل حتى ولو سلمنا بصححة وقوع ذلك،

<sup>١</sup>- قيل وضع الله عز وجل القلم في المكان الرفيع، ونوه بذلك في المنصب الرفيع، حين قال «ن والقلم وما يسطرون»، فاقسم بالقلم بما يخط بالقلم، وقيل "القلم" أحد اللسانين وهو المخاطب للغيوب، بسرائر القلوب على لغات مختلفة، وقال ابن المقفع "القلم بريد القلب، يخبر بالخير ينظر بلا نظر، وقال الجاحظ الدواة منه و القلم ماتع، والكتاب عطنا، أحمد الهاشمي جواهر الأدب في الأدبيات وإنشاء لغة العرب ٣٣٥/١، سنة ١٣٧٠هـ، ١٩٥١م.

<sup>٢</sup>- أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري المعرف ص ٦٢٩، سنة ١٩٨٧ م ببيروت.

## الكتابة والتأليف في العصرين الجاهلي والإسلامي

فإن التدوين لم يشمل إلا جزءاً من آثار الشعراء الحضريين، أما البقية فقد سارت في الصحراء عن طريق الرواية الشفوية، وأنها وحدها تؤلف الطريقة الأساسية لنشر الآثار الشعرية.

على رغم ذلك نرى أن معظم المصادر اتفقت على انتشار الكتابة العربية في كل ناحية من نواحي الأرض العربية فتعلموها ونشروها، وبسبب هذا ورد في كتب الأخبار والترجمات والتاريخ ذكر الكتابة والكتاب والصحيفة، والمهرجان، والألواح وغيرها من أدوات الكتابة.

قال د. عبد الحكيم بلبع<sup>١</sup> انتشارها في الأوساط المتحضرة والمبتدئة فيها السواء، ويدرك لنا الجاحظ في كتابه "الحيوان" ما يدل على أن العرب الجاهليين عرّفوا الكتابة واستخدموها لأغراضهم فقال:

لولا الخطوط لبطلت العهود والشروط والسجلات والصكاك، وكل أقطاع وكل اتفاق وكل أمان وكل عهد.... .

ولسو رجعنا إلى دواوين شعراء الجahليين لوجدناها حافلة بما ذلك مثلاً قال عنترة بن شداد العبسي<sup>٢</sup>:

وفرضت للناس الكتابة فاحتذوا  
فيها مثلك والعلوم فرائض  
وإذا خططت فأنت غيث معشب  
وإذا حبسـت فأنت برقـ وامض  
وقال عبيـدـ بنـ الأـبرـصـ<sup>٣</sup>

<sup>١</sup>- بلا شير، تاريخ الأدب العربي، ترجمة إبراهيم الكيلاني ص ١٢٠، دمشق ١٩٧٣م.

<sup>٢</sup>- أبو عثمان عمرو بن الجاحظ الحيوان، ٦٩/١، بيـرـوتـ، الطـبـعـةـ الثـالـثـةـ ١٣٨٨ـهـ، سـنـةـ ١٩٦٩ـمـ.

تعرف أمس من لميس الطل  
مثل الكتاب الدارس الأحوال  
وقال يصف القلم<sup>١</sup>  
له عنق مثل جذع السحوق  
والأذن مصنعة كالقلم  
وقال زهير بن أبي سلمى في معلقته الشهيرة<sup>٢</sup>  
يوخر فيوضع في كل كتاب فيدخل  
ليوم الحساب أو يعدل فينقم  
وقال المرقس الأكبر في فاتحة قصيده المشهورة<sup>٤</sup>  
الدار قفر والرسوم كما  
رقش في ظهر الأديم قلم  
وقد أشار ناصر الدين الأسد إلى ما كان لدى دغفل النسائية من دواوين شعر  
الجاهلية وإلى واقعة جمع النعمان بن المنذر (ملك الحيرة) للعشر العربي في  
الجاهلية وتدوينه فإنه أمر بجمعها فنسخت له أشعار العرب في الطنج وهي  
الكراريس، ثم دفنتها في قصره الأبيض، روى أن الزباء كتبت إلى جذيمة وهو بيقه  
على شاطئ الفرات تدعوه إليها، وهو كتب إليها أيضاً<sup>٥</sup>.

<sup>١</sup>- د. الصولي أدب الكتاب ص ٢٤٥، تحقيق محمد بهت الأردي مصر سنة ١٣٤١هـ.

<sup>٢</sup>- د. ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي ص ٩٤ إلى ٩٩، الطبعة الثالثة مصر سنة ١٩٦٦م.

<sup>٣</sup>- نفس المصدر.

<sup>٤</sup>- نفس المصدر مصنعة منصوبة محددة والسحوق الطويلة من النخل.

<sup>٥</sup>- زهير بن أبي سلمى، ديوان ابن أبي سلمى ص ١٨ تحقيق فخر الدين قباوة دار الأفاق الجديدة بيروت.

## الكتابة والتأليف في العصرين الجاهلي والإسلامي

وروى أيضا عدي بن زيد كان يعرف الكتابة، وقد ترك كتابا في التاريخ اعتمد عليها المسعودي المؤرخ وقال عنه الجاحظ<sup>١</sup>، كان نصراانيا ديا ناو ترجمانا وصاحب كتب وكان من دهاء أهل ذلك العصر<sup>٢</sup>.

وإلى جانب هذا نجد أسماء كثيرين من الكهنة والأطباء والمتجمين، وأسماء الأسواق الأدبية التي كانوا يقيمونها في مواضع مختلفة من تلك الجزيرة مثلا في دومة الجندي، وسوق الحجر بالبحرين، وعمان، ثم المشفر ثم صحار بالشحر وعكاظ على عدد أشهر السنة، وكان يسود على تلك الأسواق، من أخلاق عالية، وروح إنسانية رائعة، كل ذلك يدل على حضارة إنسانية وتطور ملحوظ في حياة الناس، ومن هذا نستطيع أن نحكم أن الأمة العربية عرفت الكتابة، وكان هذا قد انتشر هذا الفن في كافة أنحاء الجزيرة وهي من أهم مظاهر حضارتهم.

وكذلك كان للعهود والمواثيق حظا وافرا في تطور الكتابة في العصر الجاهلي فإنهم كتبوا بعض أغراض تجارية، وأخرى سياسية، وتشريع هذا الفن في مكة خاصة، لأنها كانت مركزا تجاريا هاما عظيما، والتجارة تحتاج إلى الكتابة، ويحدثنا الجاحظ<sup>٣</sup>، إنهم كانوا يكتبون بعض عهودهم السياسية، وكانتوا يسمون تلك العهود المكتوبة "المهارق"، وقال الحارث بن حذرة مشيرا بها إلى ما كتب من عهود بين بكر و تغلب<sup>٤</sup>.

وأذكروا حلف ذي المجاز وماق

دم فيه العهود والكفلاء

<sup>١</sup>- المفضل الضبي المفضليات ص ٢٣٧، الطبعة الرابعة مصر، شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر، وعبد السلام شاكر.

<sup>٢</sup>- رقش أبي زين وحسن والأديم الجلد.

<sup>٣</sup>- ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي ص ١٦٢، دار المعارف مصر ١٩٥٦م.

حدر الجور والتعدي وهل بين  
قض ما في المهارق الأهواء

ومن آثارهم الأمثال والحكم اشتهر لدى العرب منذ العصر الجاهلي عدد كبير من الحكماء أشهرهم لقمان الحكيم، وقد أشار ابن هشام إلى صحيفة حملها سويد بن بالصامت قال فيها الدكتور شوقي ضيف<sup>١</sup>. إنما الذي نستطيع أن ندعوه لهم حقاً، عن طريق الوثائق الصحيحة هو الأمثال فقد أكثروا من ضربها وهناك كتب مشهورة تتخصص ببحثها.

ويرى الباحثون أن تاريخ اللغة والكتابة وهو قديم جداً، ولكن تختلف آراءهم حول نشأة الخط وأصوله، ومصادره، فمنهم من يرى أن اللغة والخط توفيقاً من الله تعالى، علمه آدم منذ بداية الخلق، وهذه هي نظرية ابن فارس التي عرضها في كتابه "الصحابي"<sup>٢</sup>.

ومنهم من يرى أن تاريخه يرجع إلى عهد آدم فيقول ابن عبد ربه<sup>٣</sup> :

"إن أول من وضع الخط العربي والسرياني وسائر الكتب آدم" قبل موته بثلاثمائة سنة، كتبه في الطين، ثم طبخه، فلما انقضى ما كان أصابه الأرض من الغرق، وجد كل قوم كتابهم فكتبوه، وكان إسماعيل وجد كتاب العرب، وما زال

<sup>١</sup>- الزباء وهي ملكة تدمر ببادية الشام في القرن الثالث الميلادي، وقد رويت قصتها في الكتب العربية عن هشام بن محمد الكلبي، (الأغاني ٧٥/١٦، وابن الأثير ١/٢٤٧، طبع ليدن) إن رأى الدكتور شوقي ضيف إن الروايات التي رویت عن هشام بن محمد الكلبي ليست معتمدة لأنه منها في ما يرويه (الفن ومذاهبه ص ١٧، دار المعارف المصرية).

<sup>٢</sup>- أبو عثمان عمرو بن الجاحظ الحيوان ٤/٩٧، طبعة الحلبي، وحنا الفلاخوري، الجديد في الأدب العربي ص ٤٠٩.

<sup>٣</sup>- نفس المرجع السابق.

## الكتابة والتأليف في العصرين الجاهلي والإسلامي

إسماعيل بعده يشتقون الكلام بعضه عن بعض، ووضعوا للأشياء أسماء كثيرة، بحسب حدوث الأشياء الموجودات وظهورها.

ويقول ابن النديم<sup>١</sup> في أولية الخط العربي:

"اختلف الناس في أول من وضع الخط العربي فيقولون:  
إن أول من وضع الكتاب هم نفيس ونصر وتيماء ودومة هؤلاء ولد إسماعيل وضعوه مفصلاً وفرقه قادورين بن هميسيع بن قادور".

وفي "الفهرست" رواية أخرى<sup>٢</sup> التي تذكر لنا أن الستة هم الذين وضعوا الخط العربي وهم أبجد وهوز وحطى، وكلمن وسعفص وقرشت هم قوم من الجبلة الأخرى، وكانتوا نزواً عند عدنان بن أدد، وهم من طسم وجديس، وأنهم وضعوا الكتب على أسماءهم، فلما وجدوا حروفًا في الألفاظ ليست الحقوقها بها، وسموها الرواذا وهي التاء والخاء والدال والظاء والشين والغين... .

وقد نقلت في العقد الفريد<sup>٣</sup> رواية ابن عباس أنه قال:

"أول من كتب بالعربية ثلاثة رجال من بولان وهي قبيلة سكنا الأبار، وأنهم اجتمعوا فوضعوا حروفًا مقطعة وموصولة وهي مرامر بن مرة، وأسلم بن سدرة، وعامر بن جدرة، فأما عامر فوضع الصور، وأما أسلم ففصل ووصل، وأما عامر فوضع الإعجم".

فمن الأبار على حد قولهم انتشرت الكتابة في العرب فروى<sup>٤</sup>:

<sup>١</sup>- الدكتور شوقي ضيف الفن ومذاهبه، ص ٢٠، وقيل ليس يراد بها الصحف والكتب، ولا يقال للكتب مهارق حتى تكون كتب دين أو كتب عهود ومبائق، وأمان، (الحيوان ٧/١ بيروت).

<sup>٢</sup>- المرجع السابق.

<sup>٣</sup>- ابن فارس الصاحبي في فقه اللغة ص ٧، المكتبة السلفية ١٩١٥م.

<sup>٤</sup>- المصدر السابق.

## الكتابة والتآليف في العصرين الجاهلي والإسلامي

"لما سئل القریش من أین لكم الكتابة؟ فقالوا: من الأنبار وقيل<sup>١</sup>، أول من كتب بالعربية إسماعيل، وأن نفيساً ونصراء وتيماء ودومة أبناءه وضعوا كتاباً واحداً، وجعلوه سطراً واحداً، موصول الحرف كلها غير المتفرق، ثم فرقة نبت وهيسيع وقيل هميسيع، وفیدار وفرقوا الحروف وجعلوا الأشباه والنظائر".

وتشير الرواية الأخرى<sup>٢</sup>، إلى رجل اسمه بشر بن عبد الملك الذي كان يعلم خط أهل الأنبار اسمه الجزم، وتعلم من مرامر بن مرة، وأسلم بن سدرة، ثم خرج إلى مكة حيث تزوج الصهباء بنت حرب، اخت أبي سفيان بن حرب، وعلم أبو سفيان ورجالاً من أهل مكة ذلك الخط، كل هذه الروايات وأمثالها التي وردت في المصادر الأدبية القديمة، تحدثنا أن العرب اهتموا بالكتابة منذ أقدم العصور فعالجوها ووضعوها، وأنهم كانوا يدونون بقلم ظهر في اليمين بصورة خاصة وهو القلم الذي سمى الرواة (القلم المسند)، أو قلم حمير، وأن لخط العربي قلمان هما الجزم والمسند، المسند هو خط العربية الجنوبية، والجزم هو خط أهل مكة ومدينة عرب العراق.

قال ابن خلدون عن الخط الحميري<sup>٣</sup> :

"كان الخط العربي بالغاً مبالغة من الاتقان والجودة في دولة المتابعة، لما بلغت من الحضارة والترف وهو المسمى بالخط الحميري، وانتقل منها إلى الحيرة لما كان بها دولة آل المنذر ومن الحيرة لقته أهل الطائف والقریش".

<sup>١</sup>- ابن عبد ربه العقد الفريد ٤/٢١١، بيروت الجمهورية اللبنانية سنة ١٣٨٤.

<sup>٢</sup>- ابن النديم محمد بن إسحاق، الفهرست الكلام على القلم الحميري ص ١٣، ١٤، وقد رویت هذه الأسماء في العقد الفريد بقليل من الاختلاف وهو أنهم نفيس ونصر، وأتيماء، بنو إسماعيل بن إبراهيم وضعوه متصل الحروف بعضها ببعض حتى فرقه قادر وهميسيع، وفیدار... العقد ٤/٢١٢.

<sup>٣</sup>- الفهرست ص ١٣، ١٢.

وكتب شوقي ضيف<sup>١</sup>:

"عرف عرب الجنوب بخطهم المسند، ومنها نشأ الخط الحبشي، وخطوط اللهجات العربية الشمالية القديمة وهي اللحيانية والثمودية والصفوية". فالكتابة العربية كانت منتشرة انتشارا لا يأس به في تلك العصور القديمة في مواضع كثيرة من الجزيرة خاصة المواقع الحضرية، وإن وضعه كان أصلا ولم يتاثر العرب بغيرها في ذلك، كما رأى بعض المستشرقين وأتباعهم.

فيقول الدكتور عز الدين<sup>٢</sup>:

"وحجج المستشرقين ومن تبعهم في أن الخط العربي إنما كان تقليدا للخط الآرامي، بدليل ما اكتشف من نصوص في أرض الشام حج لا يمكن الاطمئنان إليها لمجرد التشابه بين الخطين، في أنها كتب بحروف متصلة والروايات تحدثنا أن الخط العربي وضع منفصلا ومتصلًا" وزاد عليه بقوله<sup>٣</sup>:

"أن خط الجزم قد تطور عن الخط الحميري وهو الذي كان يكتب بالحروف المتصلة، فالكتابة العربية كانت متواصلة في مناطق الجزيرة العربية".

وفي الرواية الأخرى:

"إن حروف الكتابة العربية كانت قد أخذت شكلها منذ الجاهلية الثانية على أقل تقدير، وأن إعجام بعض هذه الحروف للتمييز بين متشابهاها، كان معروفا

<sup>١</sup>- لا يتفق الدكتور عز الدين إسماعيل، بهذين الخبرين الذين يرويهما ابن النديم في كتابه الفهرست و يقول أنها غير مطمئن، ولا سيما ما في الخبر الثاني من إشارة إلى وضع الأعجام منذ البداية، وفي رايته مشكلة الإعجام تشكل قضية قائمة بذاتها في تاريخ الخط العربي) المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي ص ٣١، دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٥ م.

<sup>٢</sup>- ابن عبد ربه العقد الفريد ٤/٢١٢.

<sup>٣</sup>- ابن قتيبة عيون الأخبار ١/٢٣، الكتاب والكتابة، مطبعة دار الكتب المصرية ٣٤٣، ١٩٥٢ م.

## الكتابة والتأليف في العصرين الجاهلي والإسلامي

ومستخدماً في نطاق ضيق منذ صدر الإسلام، ثم حدث توسيع فيه منذ بداية النصف الثاني من القرن الأول الهجري مع إضافة نظام الشكل (الفتحة والكسرة، والضمة، والتنوين) بضبط اللغة وتحاشي اللحن".<sup>١</sup>

يتضح مما نقدم أن الكتابة العربية كانت منتشرة انتشاراً لا يأس به في تلك العصور السحيقة في القدم في مواضع كثيرة في الجزيرة العربية خاصة المواضع الحضرية، وإنها كانت متواصلة في مناطق الجزيرة العربية، واستقرت على ما هي عليه، ولم يدخل التطور في هجائها أوائلها حتى وصلت إلى ما وصلت إليه قبل ظهور الدعوة الإسلامية، فوحدتها الإسلام، ونشرها عليه من غير أن يغير صورة حروفها أو عددها أو ترتيب هجائها يدل به أيضاً أنها مرت بعصور طويلة تطورت فيها، وأخذت شكلها النهائي، وكان في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلة وأذكي التسليم، عند ظهور الإسلام قرابة ثلاثين كتاباً، والكتابة اللغوية كانت معروفة في العصر الجاهلي والإسلامي، وكان العرب يستعملون الأدوات اللازمة لها، في مقدمها الورق وأشياء كثيرة... الخ<sup>٢</sup>، وكانت الكتابة اللغوية سبب مهم للتدوين، ومن الدارسين من يكاد ينفي تدوين العرب قبل الإسلام شيئاً من معارفهم كما يقول بعضهم<sup>٣</sup>.

"لم يكن للعرب في فترة ما قبل الإسلام ثقافة مدونة، وعلوم مسجلة، فقد غلبت عليهم البداعة، واستغرق حياتهم التنقل، ففتشت فيهم الأممية، ولم يتركوا خلال هذه الحقبة المدينة الغامضة من حياتهم سوى نقوش قليلة تتبع عما كان لهم من

<sup>١</sup>- الدكتور جواد علي، المفصل في أحوال العرب قبل الإسلام ١٥٢/٨، بيروت سنة ١٩٧١م.

<sup>٢</sup>- الطاهر أحمد مكي، دراسة في مصادر الأدب ص ٣٨، الطبعة السابعة، دار المعارف المصرية سنة ١٩٩٣م.

<sup>٣</sup>- العلامة ابن خلدون المقدمة ص ٤١٨، المكتبة التجارية بمكة المكرمة عام ١٩٨٠م.

## الكتابة والتأليف في العصرين الجاهلي والإسلامي

دور حضاري حتى أن هذه النقوش لم تكن متوافرة إلا في بعض المناطق العربية كجنوبية جزيرة العرب وشماليها، حيث توجد الأحجار والصخور.

ولكن من العلماء من أشار إلى بعض مدوناتهم مثلًا قد أشار السيد ناصر الدين الأسد<sup>١</sup>، إلى ما كان لدى دغفل النسبة من دواوين شعر جاهليه، وذكر أيضًا واقعة جمع النعمان بن المنذر ملك الحيرة للشعر العربي في الجاهليه، وتدوينه وذكر رواية ابن الكلبي عما أفاده من أسفار الحيرة ونقوش كنائسها، وما كان فيها من أخبار العرب الجاهليين وأنسابهم، وذكر قول شاعر جاهلي<sup>٢</sup>، فيه إشارة إلى كتاب "بني تميم" في الجاهليه وانتهى إلى قوله "أن كل قبيلة من القبائل كانت تجمع شعر شعائرها، وحكم حكمائها، وأقوال خطبائها، وأخبارها ومفاخرها وما ثرها وأنسابها في كتاب"<sup>٣</sup>.

وتوجد في كتب التاريخ والتراث ذكر بعض المدونات التي تنسب إلى العصر الجاهلي، مثلًا يبدو أن بيع الحيرة وكنائسها في عهد المنادرة كانت مليئة بالسجلات والمدونات، فقد ذكر الطبرى<sup>٤</sup> :

"أن هشام بن محمد بن السائب الكلبي قال: كنت أستخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمار من عمل منهم لآل كسرى وتاريخ سنיהם من بيع الحيرة، واشتهر عند الجاهليين منذ العصر الجاهلي عدد من الحكماء،

<sup>١</sup>- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي ، ص ٣٣ ، طبع دار المعارف المصرية سنة ١٩٦٠ م.

<sup>٢</sup>- د. عز الدين المصادر اللغوية والأدبية ص ٣٤ .

<sup>٣</sup>- قال هذه النقوش بالرغم من كونها كتبت بالخط المعيني الجنوبي فخصائصها اللغوية قريبة من الخصائص اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم وهو يروي بحواله طريقة تعلم الكتابة د. أنيس فريحة ص ٧٨ .

<sup>٤</sup>- المصادر الأدبية واللغوية ص ١٤ .

## الكتابة والتأليف في العصرين الجاهلي والإسلامي

فكانوا ينهجون نهجاً ويدركون بنهج حكماء الشرق الأدنى القديم، فكان الحكيم عندهم هو الرجل المثقف عنده ثقافة جامعة لشتي ألوان المعرفة، وكان بعض الحكماء العرب يورثون الحكمة أبناءهم<sup>١</sup>.

وفي عصر صدر الإسلام احتاج المسلمون إلى الكتابة والتدوين على نطاق واسع لفهم الدين وحفظ القرآن الكريم، ودونته طائفة من الكتاب وعرفوا بكتاب الوحي، فإنهم كانوا يكتبون الآية القرآنية، وكثير عدد الكتاب من بضعة عشر إلى نيف وأربعين، أغبلهم من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، وظل القرآن الكريم مدوناً على هذا النحو طوال عهد الدعوة الإسلامية في عهد النبي، وأحسن عمر بن الخطاب بعده بضرورة تدوين القرآن مجتمعاً لما استشهد عدد كبير من الصحابة في غزوة اليمامة في عهد الخليفة الأول أبي بكر وأوجس خيفة أن يتبدد القرآن لهذا السبب أو غيره، فظل زيد بن ثابت مشغولاً في جمع القرآن مما كان مدوناً عنه وعند غيره من الصحابة حتى جمعه في مصحف واحد، وقدمه إلى أبي بكر، ثم انتقل إلى عمر بن الخطاب الخليفة الثاني، واحتفظت حفصة بعد وفاة أبيها<sup>٢</sup>، ولما نشطت الفتوحات الإسلامية في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه

<sup>١</sup>- نفس المصدر.

<sup>٢</sup>- يرى الباحثون إن من أهم القضايا التي اتصلت بتاريخ الخط العربي قضية رقش الحروف أي استخدام نظام التقسيط للتمييز بين حروفها المطابقة في الشكل ففي الأبجدية العربية مجموعات من الحروف ترسم بطريقة واحدة مثل الباء، والتاء، والثاء والجيم، والخاء، والراء وعلى هذا النمط، وبدون نظام التقسيط، وكانت الكتابة العربية الجاهلية عارية من النكالت الخالية من الشكل، و شأنها في ذلك شأن الأم النبطية التي اشتقت منها فرأى د. محمد حميد الله إن الرقش كان معروفاً في عهد المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وهو يعتمد على ما ترويه بعض المصادر القديمة أن عبيد بن أوس الغساني كاتب معاوية قال كتبت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قرقشته ، وفي رواية لسيوطى كتبت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاوية ارقش كتابك، المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي ص ٣٢ ، والدكتور محمد حميد الله، صنعة الكتابة في عهد الرسول صلى الله عليه

## الكتابة والتلiff في العصرين الجاهلي والإسلامي

وارضاه، وتفرق المسلمون في الأقطار المفتوحة منهم القراء الذين يحفظون القرآن الكريم، والعامة من المسلمين، وكانوا يسمعون القرآن منهم، فأهل الكوفة كانوا يأخذون عن ابن مسعود رضي الله عنه، وأهل البصرة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وأخذ الناس في دمشق، وحمص عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه، فتشب الخلاف بينهم، ورأى كل واحد منهم أن قراءاته خير من قراءة غيره من القراء، حتى أدرك حذيفة بن اليمان رضي الله عنه خطر الاختلاف بين المسلمين وأبلغ ذلك إلى الخليفة، فأمر طائفه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي مقدمتهم زيد بن ثابت بنسخ المصاحف التي لدى حفصة، وأن يضبطوا القراءة بما حفظه القراء<sup>١</sup>.

وأن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه أمر بكتابة ست نسخ منها، احتفظ لنفسه منها بوحدة، وجعل واحدة لأهل المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة وازكي التسلیم، ووزع النسخ الباقي على كل من مكة المكرمة زادها الله تشریفاً وتعظیماً، والبصرة والکوفة، والشام<sup>٢</sup>، كذلك تمت عملية تدوین القرآن الكريم في صورة نهائية، وقيل: إن تدوین القرآن على هذا النحو يعد أضخم وأدق عملية تدوین في صدر الإسلام وما أسرع أن انتشرت النسخ المأخوذة عن هذه النسخة الأم، وما أكثر ما صار في أيدي الناس من هذه النسخ<sup>٣</sup>.

ونرى أن عملية التدوین لم تقتصر على تدوین القرآن فقط بل دونت المعاهدات والمراسلات وبعض الأمور الدينية في ذلك العصر، مثلاً توجد في كتب

وسلم والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ص ٢٦، مجلة فكر وفن العدد الثالث الصادر في ١٩٦٤ م.

<sup>١</sup>- المصدر السابق.

<sup>٢</sup>- نفس المرجع.

<sup>٣</sup>- ابن عبد ربہ العقد الفريد ٤/٢١٥.

## الكتابة والتأليف في العصرين الجاهلي والإسلامي

التاريخ المعاذه التي أمر المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بكتابتها على أثر هجرته إلى المدينة المنورة<sup>١</sup>، ونجد كثيراً من الرسائل التي بعث بها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى القبائل المختلفة لدعوتهم إلى الإسلام أو عقد حلف معهم ضد قريش، وقد نقلت كتب الأمان، وكتب تقسيم الغائم، وكتب الإقطاعات منه أيضاً، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث رسائله إلى ملوك الدول المجاورة مثل المنذر بن ساوي، والمقوقس في مصر، والنجاشي في حبشة<sup>٢</sup>.

وظل الحديث الشريف يتناقل روایة لمدة طويلة من الزمن، والسبب العام الذي يعزى إليه تأخر تدوين الحديث هو كراهة أن يضاهي بكتاب الله غيره، أو يستغل عن القرآن بسواء، ولكن رأي الدكتور عز الدين<sup>٣</sup> :

"هذا ينفي بالضرورة عملية تدوينه منذ وقت مبكر بل في حياة الرسول نفسه فعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، وأنس بن مالك رضي الله عنه، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم، وأبو هريرة رضي الله عنه، وسعد بن عبادة الأنصاري رضي الله عنه، هؤلاء جميعاً دونوا الأحاديث منذ وقت مبكر، وفقي التابعون على آثار الصحابة في هذا الشأن، ثم استمرت عملية تدوين الحديث في نموها الطبيعي حتى بلغت غاية اكتمالها في صورة، مدونات الأحاديث الكبيرة الجامعة، مثل صحيح الإمام البخاري ٢٥٦هـ، وصحيح الإمام مسلم توفي ٢٦١هـ، وغيرهما".

يتضح بكل هذه الروايات أن عملية التدوين قد بدأت عند العرب منذ وقت مبكر، كانت معروفة في العصر الجاهلي وشاعت في عصر صدر الإسلام، وأن

<sup>١</sup>- د. عز الدين المصادر اللغوية الأدبية .٢٤٠.

<sup>٢</sup>- ابن خلدون المقدمة في اللغة العربية .٢٥/٢

<sup>٣</sup>- المفصل في أحوال العرب قبل الإسلام .١٩٨

## الكتابة والتاليف في العصرين الجاهلي والإسلامي

حجمها لم يكن هينا، وما دامت تنمو وتنتطور في العصور بعده حتى اكتمل تدوين المعرف العربية والإسلامية في النصف الأول من القرن الثالث الهجري، وظل عدد كثير من المؤلفين والمصنفين مشغولاً بهذا العمل، وكان لخلفاء الأمويين والعباسيين حظ وافر في تطور هذا الفن، فربت كتب الأدب، وجمعت دواوين الشعراء، وضبطت العلوم والمعارف، حتى انتهت حركة التدوين إلى أوسع نطاق في العصر العباسي، وكان لدى العرب وسائل التدوين المختلفة، واستعملوا الأشياء الالزامية للكتابة والتدوين مثل القلم والورق، والحرير، والصحيفة والمهارق، والألواح وغيرها، ولو رجعنا إلى دواوين شعرائهم لوجدناها حافلة بما ذكروا في ذلك<sup>١</sup>.

وحصر هذه الأدوات الالزامة للكتابة والتدوين مهم لنا لتكوين رأي صحيح في مادة العرب في الكتابة القراءة في العصر الجاهلي، ويتجلى من الروايات<sup>٢</sup> :

"أن بعض الألفاظ الخاصة بالكتابة القراءة هي معرفة إن استعملت قبل الإسلام بزمن طويل عرب بعضها من اليونانية وعرب بعض آخر عن الفارسية أو السريانية أو القبطية وذلك بحسب الجهة التي ورد منها المعرف، ووجد سبيله إلى العربية من أدوات الكتابة المعروفة وأهمها القلم، وهي من أدوات الكتابة المعروفة منذ قديم إلى عصرنا الحاضر، والعرب من الأزمنة القديمة كانوا يعرفون قيمة القلم وفضله ويقولون القلم أحد السانين، وأشار ابن القيم إلى مثل ذلك حين قال:<sup>٣</sup>" تولد الحروف المسموعة عن اللسان كتولد الحروف المكتوبة عن القلم".

<sup>١</sup>- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي ، ص ٣٣ ، طبع دار المعارف المصرية سنة ١٩٦٠ م.

<sup>٢</sup>- المرجع السابق.

<sup>٣</sup>- ابن فارس الصاحب في فقه اللغة ٨٠ / ٢ .

وقد عدت قدرة الإنسان على الكتابة واستطاعته على البيان من أعظم منحة ما منه الله من قوات، وأهم وسيلة من وسائل التعليم والتعلم إذ قال<sup>١</sup> :

﴿نَّ وَالْقَلْمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ .  
وقال سبحانه ﴿الَّذِي عَلِمَ بِالْقَلْمِ﴾ .

العرب كانوا يخطون بالأقلام، وكانت تلك الأقلام مصنوعة من القصب بالعموم، وكلمة القلم أصله من الكلمات التي عن أصل يوناني وهي قلاموس ومعناها القصب<sup>٢</sup>، واستعمل العرب أنواعاً أخرى من أقلام غير قلم القصب منها التي صنعت من الحديد ذات رؤوس من الماس للكتابة على صفائح من الحجر، واستعملوا أقلام الرصاص ومعادن أخرى وقيل<sup>٣</sup> ، لفظة المزير، هي مرادفة لمعنى القلم، وأصله من زير، ومعناها كتب، والعرب كانوا يستعملون السكين لبرية الأقلام، ومن أدوات الكتابة القرطاس، وهي باليونانية Chartes أو Khartis<sup>٤</sup>، ومعناها ما يكتب فيه، ويقابلها في اللغة العربية ورقة أو صحيفة أخذ العرب الجاهليون هذه الكلمة، منهم واستعملوها بشيء من التصريف قيل<sup>٥</sup> :

" إن القدماء في مصر وفي حوض البحر المتوسط يكتبون على القراطيس وهي على صورة لغات تلف كالأسطوانة وتحفظ في غلاف...." .

<sup>١</sup>- الفهرست ص ١٥.

<sup>٢</sup>- سورة القلم آية ١.

<sup>٣</sup>- سورة العلق آية ٣.

<sup>٤</sup>- العقد الفريد لابن عبد ربه ص ٣٠.

<sup>٥</sup>- نفس المصدر.

<sup>٦</sup>- مصادر الشعر الجاهلي ص ٦٥. طبع دار المعارف المصرية.

<sup>٧</sup>- الفن ومذاهبه للدكتور شوقي ضيف ٦٠/٢

## الكتابة والتأليف في العصرين الجاهلي والإسلامي

ومن أدوات الكتابة "الرق" قال سبحانه وتعالى ﴿ وَالطُّورُ (١) وَكِتَابٌ مَسْطُورٌ (٢) ﴾، والرق شبه الورق، أو جلد رقيق أو هو الصحيفة البيضاء، واشتهرت في اليمن والجaz بترقيق الجلود، ودباغته للاستعمال في أمور مختلفة، فكان يكتب فيه، والذي خط السطور على الرق، وكان العرب يسمونه "المرقش" و"الكاتب" <sup>١</sup>، وكانوا يكتبون في عسب النخل أيضا.

والعرب استعملوا "الحجارة" وهو أهم مواد الكتابة والحجارة، هي المورد الرئيسي الذي استخرج منها المؤرخون علمهم بتاريخ العرب في الجنوب، وفي أعلى الحجاز وغيرها من أماكن العرب نقش العرب الجاهليون أوامرهم وأحكامهم ورسائلهم عليها، حتى ذكروا بها المقامات التي نزلوا فيها، ويقولون لم يكتب في الحجارة "الوحى" والوحى عندهم الكتابة والخط، فقال زهير بن أبي سلمى <sup>٢</sup>، في بعض أبياته الشعرية:

### كالوحى في الحجر المسيل المخلد

ومن أدوات الكتابة "المهارق" مفردها مهرق، وهو قماش من الحرير كان يطلى أو يسقى بالصمع، ثم يصلق بالخرزة، ثم يستخدم للكتابة عليه، وقيل <sup>٣</sup>، هذه الكلمة "مهرق" فارسية في الأصل، فعربت وهي في الأصل الفارسي "مهر كرد" أي صقل به، وهكذا يدل الاسم نفسه على المصدر.

وكانت الألواح <sup>٤</sup>، أيضا من أدوات الكتابة المعروفة والشائعة التي استعملت منذ عصور قديمة لغرض الكتابة، مفردها اللوح" واللوح هو كل صحيفة عريضة

<sup>١</sup>- المصدر السابق.

<sup>٢</sup>- المقدمة لابن خلدون ص ٢٠، طبع دار المعارف المصرية سنة ١٩٨٠ م.

<sup>٣</sup>- عيون الأخبار ٣/٣، طبع المكتبة التجارية بمكة المكرمة سنة ١٩٨٣ م.

<sup>٤</sup>- دراسة في مصادر الأدب العربي ٩٠/٨، دار النهضة المصرية سنة ١٩٨٦ م.

خشبًا أو عظامًا، وكانت تصنع الألواح من أشياء مختلفة مثل الحجر والخشب، ومنها ألواح أكتاف الحيوانات التي استعملها العرب بعد نشرها وصقلها فحفظوا بها من أفكارهم، وأرائهم وأحداثهم، وفي عصر المصطفى صلوات الله وسلامه عليه كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رضوان الله عليهم أجمعين يستعملون الألواح لتقيد ما يريدون حفظه، من أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته وغير ذلك<sup>١</sup>، وكذلك كانت عظام الحيوان ولا سيما الإبل مادة الكتابة الميسورة وكان حصولها سهل لهم فكان الكتاب يحصلونها بغير ثمن، والروايات في بعض الأحاديث النبوية تدل إلى استعمالها في عصر النبي صلى الله عليه وسلم، حيث روى عن النبي صلى الله عليه وسلم <sup>٢</sup> أنه قال: انتوني بكتف ودواة أكتب لكم كتاباً أو تضللون بعده".

وعندهم أشياء غير هذا استعملوها للخط والكتابة مثل القتب والعسب والكرناف، والقضم، والأدم، حيث ورد عن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه أنه قال: قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن في العسب والقضم والكرانيف<sup>٣</sup>.

والقطب هو الأكاف الصغير الذي كان يصنع من الخشب وعلى قدر سمام البعير<sup>٤</sup>، والعسب، والكرناف<sup>٥</sup>، والروايات تحدثنا<sup>٦</sup>، أن كتاب الوحي استعملوها

<sup>١</sup>- المصادر اللغوية والأدبية ص ٢٥٠.

<sup>٢</sup>- تاريخ الأدب العربي العصرين الجاهلي والإسلامي ص ٨١.

<sup>٣</sup>- المصدر السابق.

<sup>٤</sup>- هو جريد النخل وكان في الحجاز كثيراً فاستعمله العرب وكتاب الوحي في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم لتدوين الوحي وكتابته.

<sup>٥</sup>- هو أصول السعف الغلاظ العراض التي تلاصق الجذع ويشابه بهيئة الأكتاف.

<sup>٦</sup>- المصادر الأدبية واللغوية ص ١٣. طبع دار المعارف المصرية سنة ١٩٩٥م.

## الكتابة والتأليف في العصرين الجاهلي والإسلامي

أيضاً مادة لتدوين الوحي، والقسم<sup>١</sup>، أما الأدم فمفردتها أديمة<sup>٢</sup>، وكان الدباغون يدبغون الألب و يصلحونها للكتابة، فإذا دبغ الإلباب صارا أديماً، وكانت الأدم من مواد الكتابة الثمينة في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، وأوسعها استعمالاً لتدوين المراسلات والعقود لرخص ثمنه من الورق المستورد من مصر أو من بلاد الشام، يخبرنا د. عز الدين<sup>٣</sup> :

" أن أول مواد الكتاب التي كانت تنتج داخلياً الأديم وهو الجلد الأحمر المدبوغ، وكان العرب يكتبون في أوائل الإسلام عليه كعهد الخبرين من اليهود وكتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وغيرها من مصاحف القرآن". ومنها الصحف مفردتها صحفة استعملها العرب لغرض الكتابة، وقد أضاف الله الصحف للتكريم والتطهير بقوله<sup>٤</sup> :

﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكُرَةٌ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (١٢) فِي صُحْفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةً مُّطَهَّرَةً (١٤)﴾.

ومن أهم أدوات الكتابة "الورق" استعمله العرب إن كان استعماله محدوداً عندهم في ذلك الزمان ولم يكن الورق معروفاً لديهم في صورته المعروفة لنا، وكان يستورد من الصين عن طريق التجارة وقيل<sup>٥</sup>، تجارة الورق نشطة فيما بعد وأنه كانت لها أسواق أو متاجر خاصة تباع فيها ويقوم على بيعها رجال يختصون

<sup>١</sup>- جمع قضيم وهو الجلد الأبيض يكتب فيه، وكانت الجلود تقطع، وتصقل حتى تصبح مادة صالحة للكتابة.

<sup>٢</sup>- هي الجلود المدبوغة.

<sup>٣</sup>- دراسة في مصادر الأدب ص ٣٩، الطبعة الرابعة ١٩٥٥ م.

<sup>٤</sup>- المفصل في أحوال العرب قبل الإسلام ٩٥/٢، طبع دار المروءة بمكة المكرمة سنة ١٩٨٧ م.

<sup>٥</sup>- المرجع السابق.

به ويلقبون بالوراقين، ومن هذه الأسواق خرج عدد من أعلام الثقافة العربية، في مقدمتهم الجاحظ.<sup>١</sup>

والعرب استعملوا أنواع الحبر الشائعة عند الشعوب الأخرى في ذلك العهد، لغرض الكتابة، ويبدو<sup>٢</sup> أنه كان الفحم المسحوق أيسطها استعمالاً عندهم، وكانتوا يضيفون إليه الماء وقليلاً من الضمغ، بعض الأحيان، كما استعملوا الحبر المصنوع من بعض المواد المستخرجة من زيوت بعض الأشجار أو من مسحوق عظام الحيوانات المحروقة أو بعض الأوراق المؤكدة بالحديد وبعض المعادن، وإن كلمة الحبر من المعربات، أما المداد فذكر علماء اللغة أنه مدد بالسراج من زيت ونحوه، ثم خص بالحبر وكان يصنع الحبر من مواد مختلفة فصنعته العبرانيون من سخام المصابيح، وتحدثنا أخبارهم أن القدماء منهم كانوا يستعملون الصور والنقوش، ويعانون بالنقوش تلوين شيء بلونين أو باللون مختلف، ويسمونه النمنمة<sup>٣</sup>، وكان الحبر يوضع ويحفظ في أداة يقال لها الدواة هذه الكلمة معروفة شائعة في عصرنا الحاضر، أو المحبرة وهي كأس ذات غطاء والغطاء يمنع الحبر من أن ينساب من المحبرة أو الدواة، وقيل<sup>٤</sup> وبقي الكتاب والطلاب يستعملون تلك المحابر القديمة منهم رجال الدين، ومنهم من يعنون بالخط الجميل فاستمدوا بأقلام القصب والحبر القديم واستعملوا الآلات الحادة مثل السكين، وتلك الآلات الحادة كانت تستعمل في الكتابة على الخشب أو الحجر أو الفحم، فكل شيء ما يترك أثراً على شيء كانت مادة كتابة لإبلاغ رسالة أو لتقييد مأثرهم.<sup>٥</sup>

<sup>١</sup>- الكلام على القلم الحميري لابن النديم ص ١٥، ١٦. طبع حيدر آباد الدن سنّة ١٩٨٠ م.

<sup>٢</sup>- مصادر الشعر الجاهلي ص ٩٥، طبع دار المعارف المصرية سنّة ١٩٧٠ م.

<sup>٣</sup>- الحيوان للجاحظ ص ٢٣ طبع دار المعارف بالقاهرة سنّة ١٩٨٦ م.

## الكتابة والتأليف في العصرين الجاهلي والإسلامي

أيضاً مادة لتدوين الوحي، والقسم<sup>١</sup>، أما الأدم فمفردتها أديمة<sup>٢</sup>، وكان الدباغون يدبغون الألب و يصلحونها للكتابة، فإذا دبغ الإلباب صارا أديماً، وكانت الأدم من مواد الكتابة الثمينة في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، وأوسعها استعمالاً لتدوين المراسلات والعهود لرخص ثمنه من الورق المستورد من مصر أو من بلاد الشام، يخبرنا د. عز الدين<sup>٣</sup>:

"أن أول مواد الكتاب التي كانت تنتج داخلياً الأديم وهو الجلد الأحمر المدبوغ، وكان العرب يكتبون في أوائل الإسلام عليه كعهد الخبرين من اليهود وكتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وغيرها من مصاحف القرآن". ومنها الصحف مفردتها صحفة استعملها العرب لغرض الكتابة، وقد أضاف الله الصحف للتكريم والتطهير بقوله<sup>٤</sup>:

﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكُرَةٌ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (١٢) فِي صُحْفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةً مُّطَهَّرَةً (١٤)﴾.

ومن أهم أدوات الكتابة "الورق" استعمله العرب إن كان استعماله محدوداً عندهم في ذلك الزمان ولم يكن الورق معروفاً لديهم في صورته المعروفة لنا، وكان يستورد من الصين عن طريق التجارة وقيل<sup>٥</sup>، تجارة الورق نشطة فيما بعد وأنه كانت لها أسواق أو متاجر خاصة تابع فيها ويقوم على بيعها رجال يختصون

<sup>١</sup>- جمع قضيم وهو الجلد الأبيض يكتب فيه، وكانت الجلود تقطع، وتصقل حتى تصبح مادة صالحة للكتابة.

<sup>٢</sup>- هي الجلود المدبوغة.

<sup>٣</sup>- دراسة في مصادر الأدب ص ٣٩، الطبعة الرابعة ١٩٥٥ م.

<sup>٤</sup>- المفصل في أحوال العرب قبل الإسلام ٩٥/٢، طبع دار المروءة بمكة المكرمة سنة ١٩٨٧ م.

<sup>٥</sup>- المرجع السابق.

## الكتابة والتأليف في العصرين الجاهلي والإسلامي

به ويلقىون بالوراقين، ومن هذه الأسواق خرج عدد من أعلام الثقافة العربية، في مقدمتهم **الجاحظ**.

والعرب استعملوا أنواع الحبر الشائعة عند الشعوب الأخرى في ذلك العهد، لغرض الكتابة، ويبدو<sup>١</sup> أنه كان الفحم المسحوق أبسطها استعمالاً عندهم، وكانتوا يضيفون إليه الماء وقليلًا من الضمغ، بعض الأحيان، كما استعملوا الحبر المصنوع من بعض المواد المستخرجة من زيوت بعض الأشجار أو من مسحوق عظام الحيوانات المحروقة أو بعض الأوراق المؤكدة بالحديد وبعض المعادن، وإن كلمة الحبر من المعربات، أما المداد فذكر علماء اللغة أنه مدد بالسراج من زيت ونحوه، ثم خص بالحبر وكان يصنع الحبر من مواد مختلفة فصنعه العبرانيون من سخام المصابيح، وتحدثنا أخبارهم أن القدماء منهم كانوا يستعملون الصور والنقوش، ويعنون بالنقوش تلوين شيء بلونين أو بألوان مختلفة، ويسمونه النمنمة<sup>٢</sup>، وكان الحبر يوضع ويحفظ في أداة يقال لها الدواة هذه الكلمة معروفة شائعة في عصرنا الحاضر، أو المحبرة وهي كأس ذات غطاء والغطاء يمنع الحبر من أن ينساب من المحبرة أو الدواة، وقيل<sup>٣</sup> وبقي الكتاب والطلاب يستعملون تلك المحابر القديمة منهم رجال الدين، ومنهم من يعنون بالخط الجميل فاستمدوا بأقلام القصب والحبر القديم واستعملوا الآلات الحادة مثل السكين، وتلك الآلات الحادة كانت تستعمل في الكتابة على الخشب أو الحجر أو الفحم، فكل شيء ما يترك أثراً على شيء كانت مادة كتابة لإبلاغ رسالة أو لتفيد مأثرهم.

<sup>١</sup>- الكلام على القلم الحميري لابن النديم ص ١٥، ١٦. طبع حيدر آباد الدكن سنة ١٩٨٠م.

<sup>٢</sup>- مصادر الشعر الجاهلي ص ٩٥، طبع دار المعارف المصرية سنة ١٩٧٠م.

<sup>٣</sup>- الحيوان للجاحظ ص ٢٢ طبع دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٨٦م.

## الكتابة والتاليف في العصرين الجاهلي والإسلامي

روى في الأغاني<sup>١</sup>، حفر قسبه بن كلثوم على رحل أبي الطمحان القيني رسالة دونها بالسكين وكذلك دون أحدthem خبر قاتله على راحلة قاتله بعد أن غافله وذكر فيها اسم قاتله.

وخلصة القول إن الروايات المتقدمة عن شیوع الكتابة في العرب، واستخدامهم أدوات كثيرة، ويبدو بها أن الكتابة كانت معروفة عندهم، وكذلك تدل بعض الروايات إلى فن التدوين، ووجود بعض المدونات لديهم في تلك العصور القديمة حتى ظهور الإسلام، وأخذ الكتابة دعامة له، فأخذ المصطفى صلوات الله وسلامه عليه أصحابه على تعلم الكتابة، وكذلك تطور النشاط القلمي في العصر الإسلامي والروايات والشواهد كلها تنفي بأقوال المستشرقين الذين يرجحون الرواية دون الكتابة والتدوين في العصر الجاهلي والإسلامي، والحقيقة هي إن صناعة الكتابة والتدوين كانت معروفة في العصرين الجاهلي والإسلامي، وحث القرآن الكريم على اتخاذ الكتابة في المعاملات بقوله سبحانه وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَأِيْتُمْ بِدَيْنِ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاکْتُبُوهُ وَلَا يَكُتبُ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكُتبَ كَمَا عَلِمَهُ اللَّهُ فَلَيَكُتبْ وَلَيُمْلِلَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلَيَتَقِنَ اللَّهُ رَبُّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِعُ أَنْ يُمْلِلَ هُوَ فَلَيُمْلِلْ وَلِيُهُ بِالْعَدْلِ﴾

<sup>١</sup> - بلاشير، تاريخ الأدب العربي، ترجمة إبراهيم الكيلاني ص ١٢٠، دمشق ١٩٧٣ م.

- سورة البقرة آية ٢٨٢.

## الكتابة والتأليف في العصرين الجاهلي والإسلامي

وشجع المصطفى صلوات الله وسلامه عليه على تعلمها في أحاديث مختلفة، حيث دعا بعض أصحابه إلى تعلم اللغات الأجنبية، ففي البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم حيث مقدمه إلى المدينة فقيل<sup>١</sup>،

"هذا من بني النجار، وقد قرأ سبع عشر سورة من القرآن" فقرأت عليه فأعجبه ذلك وقال: تعلم كتاب يهود، فإني ما على كتابي فعلت".

---

<sup>١</sup> - المصدر السابق.